

Quranic and Linguistic Concepts in The Verse: La Uqsimu

Abdulrazzaq Abdulrahman Alsaadi
Bolgar Islamic Academy, Republic of Tatarstan, Russia
alsadi.razaaq@gmail.com

KEYWORDS: Quranic Concepts, Linguistic Concepts, Oath, Rhetoric, Linguistic Inimitability.



<https://doi.org/10.51345/v32i3.447.g232>

ABSTRACT:

The phrase (La Uqsimu), which means: I do not swear, is repeated eight times in seven Surah in the Nobel Quran. This phrase has been recited in multiple ways (Qira'at). Some of them are correct Qira'at and some of them are abnormal ones that are not for reciting but are cited for linguistic issues, and they are an authentic Arabic style. Scholars have opinions and directions of citing this Arabic style that would achieve the intended meaning, and demonstrate the inimitability of the Nobel Quran through the grammar and rhetoric of the Arabic language. This research comes to present a simplified detail of what was said in this style of Qur'anic expression, a clear statement on this issue, and a cautious analysis of the miraculous connotations in those Qur'anic verses.

مفاهيم قرآنية لغوية في قوله تعالى: (لَا أَقْسِمُ)

أ.د. عبدالرزاق عبدالرحمن السعدي

أكاديمية بلغار الإسلامية، جمهورية تatarستان، روسيا الاتحادية

alsaaadi.razaaq@gmail.com

الكلمات المفتاحية | مفاهيم قرآنية، مفاهيم لغوية، القسم، البلاغة العربية، الإعجاز اللغوي.



<https://doi.org/10.51345/v32i3.447.g232>

ملخص البحث:

تكرر في القرآن الكريم قولُ اللهِ تعالى: (لَا أَقْسِمُ) ثمان مرات في سبع سورٍ قرآنية، وقد قرئت بأوجه متعددة، فمنها قراءات متواترة صحيحة ومنها قراءات شاذة لا يقرأها ولكن يُستشهد فيها للقضايا اللغوية وهو أسلوب عربي أصيل، وللعلماء في توجيه هذا الأسلوب العربي آراء وتحجيمات من شأنها أن تحقق المعنى المقصود منه، وتُظهر إعجاز القرآن الكريم على ضوء قواعد اللغة العربية، ويأتي هذا البحث ليقدم تفصيلاً مبسطاً لما قيل في هذا النمط من التعبير القرآني، وبياناً شافياً في هذه المسألة، وتحليلاً دقيقاً للدلائل الإعجازية في تلك الآيات القرآنية، وذلك من خلال البحث العلمي فيما نظرناه.

المقدمة:

يقرأ المسلمون القرآن الكريم، ويبرون على قراءة آيات فيها قوله تعالى: (لَا أَقْسِمُ)، وحين يتذمرون معانٍ القرآن الكريم يتوقفون عند هذه العبارة من الآيات القرآنية، فيشكل عليهم تفسير هذا الأسلوب القرآني المعجز، بحيث يتساءلون: هل هذا الأسلوب نفي للقسم؟ أو هو إثبات للقسم؟ وما التوجيه اللغوي لهذا الأسلوب؟ ولإجابة على هذه الأسئلة بحثت في التأصيل اللغوي لقوله تعالى: (لَا أَقْسِمُ)، وأوردت عدداً الأيات القرآنية الكريمات التي ذكرت هذه الصيغة، وبيّنت ما فيها من آراء في إعرابها ومعناها.

وتجدر بالذكر أن صيغة: (لَا أَقْسِمُ) وردت في القرآن الكريم ثمان مرات في سبع سورٍ، في كل سورة ذكرت هذه الصيغة مرة واحدة، إلا في سورة القيامة فقد ذكرت مرتين، وجاء البحث في تحليل هذه الصيغة مستوفياً جميع الوجوه، معاززاً فـإلاـحالة إلى المصادر ذات العلاقة بهذا الموضوع.

أولاً - الآيات والسور القرآنية التي ورد فيها قوله تعالى: (لَا أَقْسِمُ):

جاء ذلك التعبير القرآني في ثمان آيات من القرآن الكريم، في سبع سورٍ قرآنية، وقد افتتحت بهذه الجملة سورتان هما: القيامة والبلد، لذلك لم يسبقهما واو ولا فاء، في حين سبقت أربع آيات منها بالفاء، وواحدة منها بالواو: على النحو الآتي:

- 1 - قوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَإِنَّهُ لَقَسْمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (الواقعة: 75-76).
- 2 - قوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِمَا تُبَصِّرُونَ، وَمَا لَيْا تُبَصِّرُونَ﴾ (الحاقة: 38-39).
- 3 - قوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ (المعارج: 40).
- 4 - قوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (القيامة: 1).
- 5 - قوله تعالى: ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالْفَنَسِ اللَّوَامَةِ﴾ (القيمة: 2).
- 6 - قوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِالْخَنْسِ، الْجَوَارِ الْكُنْسِ﴾ (التوكير: 15-16).
- 7 - قوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ، وَاللَّيلِ وَمَا وَسَقَ﴾ (الانشقاق: 17-18).
- 8 - قوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلْدِ﴾ (البلد: 1).

ثانياً - مادة (قسم) في القرآن الكريم:

جاءت هذه المادة (ق س م) في القرآن الكريم معنى التقسيم والتوزيع والتخصيب، كقوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الزخرف: 32)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقُسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزَقُوهُمْ مِنْهُ﴾ (النساء: 8)، وقوله تعالى: ﴿أَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأَثْيَرُ، تُلَكَ إِذَا قِسْمَةً ضَيْرَ﴾ (النجم: 21-22)، وقوله تعالى: ﴿وَبَنِيهِمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةً بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِبٍ مُحْتَضَرٍ﴾ (القمر: 28)، وقوله تعالى: ﴿لَهَا سِيَّعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزءٌ مَقْسُومٌ﴾ (الحجر: 44)، وقوله تعالى: ﴿فَالْمُقْسَمَاتِ أَمْرًا﴾ (الذاريات: 4)، وقوله تعالى: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ (الحجر: 90).

وجاءت مادة (ق س م) في القرآن الكريم أيضاً معنى اليمين والخلف، بصيغة متنوعة، فقد جاءت بصيغة الفعل المضارع كما هو في الآيات الثمانية التي تقدم ذكرها وهي موضوع بحثنا، ومنه بلفظ المضارع أيضاً قوله تعالى: ﴿فُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران: 53)، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةً﴾ (الروم: 55)، وقوله تعالى: ﴿فَيُقْسِمَنَ باللَّهِ إِنِ ارْتَبَتْ لَأَنْشَرَتِي بِهِ ثَمَنًا﴾ (المائدة: 106)، وقوله تعالى: ﴿فَيُقْسِمَنَ بِاللَّهِ لَشَهَادَتِنَا أَحْقَنِ مِنِ

شَهَادَتِهِمَا》 (المائدة: 107)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ (المائدة: 3).

وجاء القسم بصيغة الفعل الماضي ومنه قوله تعالى: ﴿أَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ (المائدة: 53). الأنعام: 109. النحل: 38. النور: 53. فاطر: 42، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لِيَصْرُمُهَا مُصْبِحِينَ﴾ (القلم: 17)، وقوله تعالى: ﴿وَقَاسَمُهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (الأعراف: 21)، وقوله تعالى: ﴿فَأُولَوَّا نَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنِبِيَّنَّهُ وَأَهْلِهِ﴾ (النمل: 49).

وجاءت بصيغة المصدر ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسْمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (الواقعة: 76)، وقوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسْمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ (الفجر: 5).

ثالثاً - معنى (القسم) في اللغة:

(القسم) - بفتح القاف والسين - اليمينُ والخالفُ، يقال: أقسمتُ بالله أي: حلفتُ، وقاسمه حلف له، والمُقسَّم - بفتح السين - الموضع الذي حلف فيه، والمُقسَّم - بكسر السين - الخالف، والقسامة الجماعة يُقسمون على الشيء أو يشهدون، ويُمينُ القساممة منسوبة إليهم⁽¹⁾.

رابعاً - قراءات (لا أقسام) وتوجيهها اللغوي النحوی:

أ - في سورة الواقعة:

قال الله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَإِنَّهُ لَقَسْمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ، إِنَّهُ لَقْرَآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَكْتُوبٍ، لَا يَمْسِي إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، تَنَزَّلِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الواقعة: 75-80).

قرأ جمهور القراء (فَلَا أُقْسِمُ) بفتح الفاء واللام بعدها ألف، وهي القراءة المتواترة، وقرأ الحسن وحميد وعيسى بن عمر (فَلَّاقْسِمُ) بفتح الفاء واللام من غير ألف بعد اللام ويكون اللام داخلاً على همزة الفعل (أُقْسِمُ)، كما يقال: فَلَّاكِرِمٌ⁽²⁾.

والتجيیه النحوی المتفق عليه في القراءتين أن (الفاء) حرف استئناف، وأن (أُقْسِمُ) فعل مضارع مرفوع لتجدد عن الناصب والجاذم وعلامة رفعه الضمة الظاهرة في آخره، والفاعل ضمير المتكلم المستتر وجوباً تقديره (أنا) وهو الله تعالى، و(موقع) حار و مجرور متعلقان بالفعل (أُقْسِمُ) وموقع مضاف (النجمون) مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة، وجواب القسم قوله تعالى: (إِنَّهُ لَقْرَآنٌ كَرِيمٌ) وجملة القسم لا محل لها من الإعراب، وقوله تعالى: (وَإِنَّهُ لَقَسْمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) الواو اعترافية وما بعده جملة اعترافية بين القسم وجوابه لا محل لها من الإعراب⁽³⁾.

أما التوجيه النحوي المختلف فيه فهو يكمن على قراءة الجمهور - في إعراب (لا) وهي حرف بالاتفاق، ويكمن - على القراءة الأخرى - في اللام الداخلة على الفعل المضارع (أقسم).
أما إعراب (لا) ففيه الأوجه الآتية:

1 - إنّ (لا) حرف زائد للتأكيد وتنمية الكلام ويعبر عنه -(الصلة) فالقسم ثابت غير منفي، والمعنى:
فأقسم أي: إثبات القسم لا نفيه، وزيادة (لا) في القسم أسلوب عربي فصيح فيقال: لا والله ما كان
كذا، فلا يريد نفي اليمين، بل يريد نفي كلام تقدم، أي: ليس الأمر كما ذكرت، بل هو كذا، ومنه
قول أمرؤ القيس:

لَا وَأَبِيكَ ابْنَةَ الْعَامِرِيٍّ لَا يَدْعُونِي الْقَوْمُ أَنْ يَأْفِرُ

أي: وأبيك ابنة العامي، والواو هنا واو القسم.

واستدلوا على أنّ (لا) زائدة، وأن القسم ثابت غير منفي بقوله تعالى: ﴿وَإِنْهُ لَقَسْمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (الواقعة: 76)، وهي جملة معتبرة بين القسم وجوابه، وجاء مثله في قوله تعالى: ﴿لَلَّا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ (الحديد: 29)، أي: ليعلم أهل الكتاب، ومنه قول الشاعر أحمد بن أبي فنن:
فَإِنْ تَكُ لِلَّى اسْتَوْدَعَتِنِي أَمَانَةً فَلَا وَأَبِي أَعْدَاهَا لَا أَخُونُهَا
أي: فوأبِي لَا أخونها⁽⁴⁾.

وعلى هذا يكون المعنى أن الله تعالى يقسم ويؤكّد قسمه على المُقسَّم عليه، والله عز وجل أن يقسم بما
يريد، وليس لنا أن نقسم بغير الله تعالى وصفاته القديمة، وإلى هذا ذهب فريق من العلماء وأكثر
المفسرين⁽⁵⁾.

2 - إنّ (لا) حرف نفي وبه قال الفراء، والكلام المنفي مقدر، وهو كلام الكفار الذين أنكروا صحة
القرآن، وحدوا نزوله من الله تعالى على النبي محمد ﷺ، وحيثئذ يكون تقدير الكلام المنفي: فلا صحة
لما يقوله الكافرون ولا حُجَّة لهم بما حددوا به، ثم يأتي القسم مستأنفا بقوله تعالى: (أُقْسِمُ بِمَوْعِدِ
النَّجُومِ)، ويفيد هذا ما جاء في القراءة الأخرى غير المتواترة⁽⁶⁾.

3 - إنّ (لا) حرف نفي، والنفي مستعمل على حقيقته وهو نفي القسم. بموقع النجوم؛ ذلك لأنّ أهل
الجاهلية كانوا يقولون إذا مُطْرُوا: مُطْرُنا بِنَوَءٍ كَذَا، فكانَ الله عز وجل يقول: لا أقسم. بموقع النجوم
ومنازلها ومساقطها ومحاربها وانتشارها يوم القيمة ما دام هؤلاء ينكرون قدرة الله تعالى
وينسبون المطر لغيره عز وجل، ويرى بعضهم أن هذا ضعيف لما فيه من حذف اسم (لا) وخبرها⁽⁷⁾.
وقد وردت آثار متعددة في تفسير (موقع النجوم) ذكرت في كتب تفاسير القرآن الكريم المعتمدة.

4 - إنَّ (لا) حرفٌ بمعنى (أَلَا) - بفتح المهمزة وتحقيق اللام - التي تكون للتبنيَّة، فتدل على تحقيق ما بعدها؛ لأنَّها مركبة من همزة الاستفهام (أَلَا) وهمزة الاستفهام إذا دخلت على النفي أفادت التحقيق، كقوله تعالى: «إِلَيْسَ ذَلِكَ يَقَادِرُ عَلَى أَنْ يُحْيِي الْمَوْتَى» (القيامة: 40)، وتُسمى أيضًا (حرف استفتاح) وتدخل على الجملة الإسمية والفعلية⁽⁸⁾، وهو أسلوب عربي فصيح؛ لبنيه على فضيلة القرآن الكريم؛ ولديثه على تدبُّره؛ وليرث أنَّ هذا القرآن ليس بـشعر ولا سحر ولا كهانة كما زعم المنكرون، وقد جاء على غرار هذا الأسلوب قولُ أمرء القيس في ديوانه:

أَلَا عِمْ صَبَاحًا أَيْهَا الطَّلْلُ البَالِيِّ وَهَلْ يَعْمَنَ مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ خَالِيَا

وعلى هذا فإنَّ الجملة في قراءة الجمهور مكونة من (لا) وهي حرف على اختلاف في إعرابها ومن الفعل المضارع (أقسام)⁽⁹⁾.

وأما إعراب اللام على قراءة غير الجمهور فكما يأتي:

1 - إنَّ اللام حرف ابتداء من غير ألف بعده، دخل على مبتدأ مقدر وهو ضمير المتكلم (أنا)، وبذلك يكون دخوله على جملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر، والتقدير: لأنَّا أقسمُ، كما يقال: لأنَّا أُكْرِمُ زِيدًا، ولزِيدٍ يَعْلَمُ خالدًا، وإلى هذا ذهب ابن جيني والزمخشري⁽¹⁰⁾، وخبر المبتدأ جاء جملة فعلية، وهو الفعل المضارع (أقسام) وفاعله ضمير المتكلم المستتر وجوباً وتقديره (أنا) وهو الله عز وجل، وذهب ابن جيني إلى أنَّ الفعل المضارع معناه الحال وليس الاستقبال، وأنَّ جملة (أقسام) خبر لمبتدأ مذوف تقديره (أنا) أي: لأنَّا أقسم. واستدل على أنَّ جميع ما في القرآن من الأقسام إنما هو على حاضر الحال، لا وَعْدَ الأقسام، أي: إنه مُقسِّمُ الْآنَ لا أنه سيفي فيما بعد كقوله تعالى: «وَالْتَّيْنِ وَالرَّيْتُونَ» (التين: 1)، وقوله تعالى: «وَالشَّمْسِ وَضَحَاهَا» (الشمس: 1)، ولو أريد بالفعل زمانُ المستقبل للزم إدخال نون التوكيد عليه فقيل: (لَأَقْسِمَنَّ)، وحيثئذ يكون اللام للقسم ونون التوكيد ملازمته للام القسم، وهذا على رأي البصريين فيكون حذف النون في هذا الموضع ضعيفاً جداً لا يناسب عظمة التعبير القرآني، وقد منع الزمخشري أيضاً: أن تكون اللام للقسم، أما الكوفيون فذهبوا إلى جواز أن تدخل لام القسم على فعل الحال ولا حاجة إلى نون التوكيد⁽¹¹⁾.

2 - إنَّ اللام لامُ الابتداء وبعدَه ألف متولد من إشباع فتحة اللام، كقول المنادي نَافُط، أصلها نَفَطْ فلما أشبَّع فتحة النون تولد الألف بعدها، ومنه قول الشاعر من الرجز:

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْعَفَرَابِ

أي: من العقرب، وهذا الوجه ذهب إليه أبو حيان ورجحه، مستشهادا بقراءة هشام بقوله تعالى: ﴿أَفْنَدَهُ مِنَ النَّاسِ﴾ (إبراهيم: 37)، بتوليد ياء من كسرة المهمزة، لكن شهاب الدين جعل هذا الوجه ضعيفاً، وعلى هذا فإن الجملة في القراءة الثانية تكون مكونة من لام الابتداء، والمبدأ المقدر(أنا)، وخبره الفعل المضارع (أقسم).

سياق القسم في قوله تعالى: (فَلَا أَقْسِمُ بِعَوْاقِبِ النَّجْوَمِ) الواقعة: 75

جاء هذا القسم تفريعاً على آيات ذكرت أنَّ الله تعالى يبعث الناسَ من القبور من الأولين والآخرين وأنَّ الله تعالى يجمعهم إلى ميقات يومِ معلوم، وذلك ردّاً على المشركين في إنكارهم البعث والنشور، الذي ذكره الله تعالى على لساهم في قوله عز وجل: ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِنْتَ وَكُنْتُ رُتَابًا وَعَظَاماً أَئْنَا لَمَبْعُوثُونَ، أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوْلُونَ﴾ (الواقعة: 47-48)، ثم ردَّ الله تعالى عليهم بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوْلَىنَ وَالْآخِرِينَ، لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمٌ مَعْلُومٌ﴾ (الواقعة: 49-50)، ومعلوم أنَّ من أهم ما جاء به القرآن إثبات البعث من القبور مما أغري المشركين بتكذيب القرآن لأنهم علّوا البعث من محلات، فلما قامت الحجة على خطفهم في تكذيبهم، فقد تبين صدق ما أتباهم به القرآن ثبت صدقه؛ لذلك جاء القسم على أنَّ القرآن كريم في كتاب مكونون وهو تتريل من رب العالمين.

وعلى هذا فإنَّ من ذهب إلى أنَّ (لا) زائدة للتوكيد فهو صحيح بأنَّ القسم ثابت على أنَّ القرآن متزه عن النقاوص وأنَّه تتريل رب العالمين وأنَّ الذي جاء به مبلغ عن الله تعالى.

وأما على من ذهب أنَّ (لا) نافية فهو صحيح أيضاً بأنَّ الله تعالى غير محتاج إلى القسم على ثبوت البعث من القبور؛ لأنَّ الأمر واضح الشوت، ثم كثُر هذا الاستعمال فصار مسلكاً لتأكيد الخير فساوى القسم، بدليل قوله تعالى عقبه: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسْمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (الواقعة: 76)، والقسم هنا مصدر بمعنى المفعول أي: مقسم كالخلق بمعنى المخلوق، فالمذكور شيء عظيم يُقسَّم به المقسمون، قال ابن عاشور: (وهذا الوجه الثاني هو الأنسب بما وقع من مثله في القرآن اهـ).⁽¹²⁾

ب - في سورة الحاقة:

في قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبَصِّرُونَ، وَمَا لَا تُبَصِّرُونَ، إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (الحاقة: 38-40). القراءات في هذه الآية وتوجيهها لا يختلف عمّا تقدم في سورة الواقعة، ويكون المعنى: أقسام بالأشياء كلُّها، ما ترون منها، وما لا ترون، على رأي من جعل (لا) صلة زائدة للتوكيد، وكذلك على رأي من جعل (لا) حرف نفي لكلام سابق، أي: ليس الأمر كما يقوله المشركون في الطعن بالقرآن الكريم، فإنَّ

الوليد بن المغيرة قال: إنَّ مُحَمَّداً ساحر، وقال أبو جهل: إنه شاعر، وقال عقبة: إنه كاهن، أما على رأي من جعل (لا) نافية للقسم فإن المعنى يكون أنَّ اللَّهُ تَعَالَى لا يحتاج إلى قسم في ثبات أنَّ القرآن من عند اللَّهِ وأنَّ مُحَمَّداً رسولَ كَرِيمٍ مبلغُه عن اللَّهِ تَعَالَى، لوضوح ذلك بالإعجاز القرآني وبالمعجزات المؤيدة لرسالة النبي مُحَمَّدٌ ﷺ، فكلا الأمرين حق ثابت ظاهر مستغنٍ عن القسم، وقد نُسبَ القول إلى الرسول لأنَّه تاليه ومبَلَّغُه والعاملُ به، وجواب القسم مثبت ومنفي، أما المثبت فقوله تعالیٰ: (إنه لقول رسول كَرِيمٍ) وأما المنفي فقوله تعالیٰ: (وما هو بقول شاعر..) لأنَّه معروف على الجواب، والمعطوف على الجواب جوابٌ، وفي هذا بلاغة قرآنية ومعجزة عظيمة⁽¹³⁾.

ج - في سورة المعارج:

قوله تعالیٰ: ﴿لَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَسَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ، عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ (المعارج: 40-41).

تقدِّمُ الكلام عمّا يُشبه هذه الآية من حيث قراءاتها وتوجيهها اللغوي في سوريٍ الواقعه والحاقة، غير أنَّ ما سبق يخص إثبات البُعْث من القبور وتبَرُّئه القرآن الكريم من أي نقص فيه، وإثبات أنه من نزل وحيا عند اللَّهِ تَعَالَى على رسول اللَّهِ ﷺ، أما في هذه الآية فإنَّ المُقسَّم عليه هو قادر اللَّهِ تَعَالَى على إهلاك الكفار، والمجيء بخير منهم في الفضل والطاعة والإيمان⁽¹⁴⁾.

ه - في سورة القيامة:

قوله تعالیٰ: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ الْلَّوَامَةِ﴾ (القيامة: 1-2)، إلى قوله تعالیٰ: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (القيامة: 6).

تميَّزت هذه السورة بأنَّها ابتدأت بالحرف (لا) وجاز وقوعها في أول السورة؛ لأنَّ القرآن الكريم متصلٌ بعضه ببعض، فهو في حكم كلام واحد، ومعنى الكلام: أقسم بيوم القيمة، ومثله قول الشاعر:
تَذَكَّرْتُ لَيَلَى فَاعْتَرَتْنِي صَبَابَةٌ فَكَادَ صَمِيمُ الْقَلْبِ لَا يَقْطَعُ
أي: صميم القلب يتقطع⁽¹⁵⁾.

وقرأها جمهور القراء: (لَا أَقْسِمُ) باللام المفتوحة وبعدها الف، وقرأها الحسنُ وابنُ كثير والرهبانيُّ وابن هُرْمُز: (لَأَقْسِمُ) باللام المفتوحة من غير ألف بعدها.

وذكر أبو الليث السمرقندی إجماع المفسرين على أنَّ معنی (لا أَقْسِمُ): (أَقْسِمُ)، واختلُّوا في تفسير وإعراب (لا) على النحو الآتي:

- 1 - (لا) زائدة في الكلام للزينة والتأكيد، وزيادتها أسلوب عربي وارد في كلام العرب، ومثله في القرآن قوله تعالى: **﴿فَقَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمْرَتُكَ﴾** (الأعراف: 12)، والمعنى: ما منعك أن تسجد.
- 2 - (لا) حرف نفي للرد على منكري البعث من القبور، أي: ليس الأمر كما زعمتم، وهذا قال الفراء، لكن كثيراً من النحوين يقولون: (لا) صلة؛ لأنه لا يجوز أن يبدأ بـنفي ثم يجعل صلة، لأن هذا لو حصل لك يُعرف خبر فيه نفي من خبر لا نفي فيه، وهنا جاء القرآن بالرد على الذين أنكروا البعث والجنة والنار، فجاء الإقسام بالرد عليهم أي: لا والله إن القيمة لـحق، فجاءت (لا) ردًا على كلام مضى، ثم بدأ القسم وهذا الأسلوب يفيد التأكيد في الكلام كأنك كذبت قوماً منكريين وأثبتت ما هو حق.
- 3 - وأما على القراءة الأخرى (**لَا قُسِّمُ**) فإن اللام للتأكيد دخلت على الفعل (**أَقْسِمُ**، والعرب تقول: لأقسم بالله).

أما قوله تعالى: (ولَا أَقْسِمُ بالنفس اللوامة) فلا خلاف بين القراء بألفها (لا) باللام والألف، وعلى هذا فتكون قراءة ابن كثير ومن معه أن الله تعالى أقسم بالأولى ولم يقسم بالثانية، أما على قراءة الجمهور فإن الله تعالى أقسم بشيئين هما يوم القيمة والنفس اللوامة.

ومعنى (اللوامة) هي نفس المؤمن الذي يلوم نفسه ويعاتبها؛ لأن الفاجر لا يحاسب نفسه⁽¹⁶⁾.

و - في سورة التكوير:

قوله تعالى: **﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْخَنْسٍ﴾** (التكوير: 15)، إلى قوله تعالى: **﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾** (التكوير: 19).

الكلام في هذه الآية لا يختلف عمّا تقدم من القراءات والتوجيهات، والخنس نوع من الكواكب التي تخنس في النهار، والكتن التي تستتر عن الأنظار، وعسوس الليل إذا أقبل بظلماته أو أذبه، وتنفس الصبح إذا انشق وانفلق بياضه⁽¹⁷⁾.

ز - في سورة الانشقاق:

قوله تعالى: **﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾** (الانشقاق: 16)، إلى قوله تعالى: **﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقِي﴾** (الانشقاق: 19).

الشفق الحمرة التي ترى عند المغرب بعد غياب الشمس، والليل وما وسق أي وما جمع وضم ولف، واتساق القمر تم في ليالي بدوره، وطبقاً عن طبق درجة بعد درجة وحالاً بعد حال. والكلام عن (فلا أقسم) شبيه بما تقدم من أمثاله.

و - في سورة البلد:

قوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلْدِ﴾ (البلد: 1)، إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا إِلَيْنَا إِنْسَانًا فِي كَيْدِهِ﴾ (البلد: 4).

والكلام في (لا أقسام) كما تقدم في سورة القيامة والمقصود بالبلد مكة المكرمة أي: أقسم بالبلد الحرام الذي أنت فيه يا محمد.

النتائج:

توصل هذا البحث إلى نتائج عديدة ومنها ما يأتي:

- 1- إن القرآن الكريم نزل قرآناً عربياً مواكباً لأفضل لغات العرب في أساليب التعبير.
- 2- إن القراءات القرآنية على تفاوت درجاتها توافراً وشذوها قد احتفظت باللغات العربية تكاد تكون قد اندرت.
- 3- إن عبارة (لا أقسام) تكررت في القرآن الكريم ثمان مرات في سبع سورٍ قرآنية.
- 4- إن قوله تعالى: (فَلَا أَقْسِمُ) تعبير عربي فصيح وله توجيهات إعرابية لعدد من علماء البصرة وعلماء الكوفة.
- 5- حمل هذا التعبير القرآني (لا أقسام) معانٍ لغوية ونحوية وبلاغية متعددة.

الوصيات:

أوصي القائمين على وضع المناهج الدراسية في أقسام اللغة العربية وأقسام الشريعة، أن يجعلوا ساعات دراسية تعنى بالإعجاز اللغوي للقرآن الكريم من خلال ربط النص بقواعد اللغة العربية.

المصادر:

1. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) لأبي عبد الله محمد القرطبي (ت 671هـ) طبعة وزارة الأوقاف القطرية: 20/217.
2. إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، دار ابن كثير، دمشق - بيروت 1432هـ - 2011م، 7 / 411.
3. الباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي البهلي، (ت 880هـ) تحقيق جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، 2011م 18/428.
4. معنى اللبيب عن كتب الأعaries ، جمال الدين ابن هشام الأنباري (ت 761هـ) تحقيق د مازن المبارك و محمد علي حمد الله، دار الفكر، 1432هـ - 2010م: ص 74.
5. المحسوب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لآبي الفتح عثمان بن جنى، تحقيق علي النجدي ناصف والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة 1389هـ - 1969م. 2 / 309.
6. التحصيل لموارد التفصيل الجامع لعلوم الترتيل، لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي ،(ت 440هـ) تحقيق جماعة من العلماء ، 1435هـ - 2014م طبع وزارة الأوقاف القطرية: 6 / 330 .

- . 7. تفسير التحرير والتونير المعروف بـ (تفسير ابن عاشور) للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت، الطبعة الأولى: 27 / 301 .

المواهش:

- (1) لسان العرب، ابن منظور (قسم).
- (2) تفسير القرطبي: 20/217.
- (3) إعراب القرآن الكريم وبيانه، للدرويش: 7 / 411.
- (4) المحتسب، ابن حي: 2 / 309.
- (5) تفسير القرطبي: 20/217.
- (6) إعراب القرآن وبيانه، للدرويش: 7 / 412.
- (7) الباب في علوم الكتاب، ابن عادل: 18 / 428.
- (8) معنى اللبيب، ابن هشام الأنصاري: ص 74.
- (9) تفسير القرطبي: 20/218.
- (10) الباب في علوم الكتاب، ابن عادل: 18 / 429.
- (11) المحتسب لابن حي: 2 / 330. معنى اللبيب، ابن هشام: ص 225. التحصل لنوائد التحصل الجامع لعلوم التزيل، للمهدوبي: 6 / 309.
- (12) تفسير القرطبي: 21 / 301 - 27.
- (13) تفسير القرطبي: 21 / 341 - 340. الباب في علوم الكتاب، ابن عادل: 19 / 341.
- (14) تفسير القرطبي: 21 / 245.
- (15) تفسير القرطبي: 21 / 404.
- (16) تفسير القرطبي: 21 / 406. الباب في علوم الكتاب، ابن عادل: 19 / 541.
- (17) تفسير القرطبي: 22 / 109.